فريق موقع الآجري للتفريغ

سلسلة تفريغات "الثالثة"

(٤٥)

شَرحُ

كِتَـــابِ الكَبَـــــائِر وَتَبْيينِ الْمَحَارِم

تَأْلِيف

الْحَافِظِ أَبِي عَبْدِاللهِ مُحَمَّدٍ بنِ أَحْمَدَ بنِ عُثْمَانَ بنِ قَايمَازَ الذَّهَبِيِّ

٦٦٣-٧٤٨ هـ

لفضيلة الشيخ

عبد الرّزاق بن عبد المحسن البدر

الكَبِيرَةُ الثَّالِثَةُ والأَرْبَعُون: قَاطِعُ الرَّحِمِ

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

[أشرطة مفرغة]

بسم الله الرّحمـــٰن الرحيم

[المتن]

الكَبِيرَةُ الثَّالِثَةُ والأَرْبَعُون

قَاطِعُ الرَّحِمِ

قَالَ اللهُ -تَعَالَى-: ﴿وَاتَّقُوْا اللهَ الَّذِيْ تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾[النساء:١].

وَقَالَ -تَعَالَى-: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾[محمد:٢٢-٢٣].

[الشرح]

(الكَبِيرَةُ الثَّالِثَةُ والأَرْبَعُون: قَاطِعُ الرَّحِمِ)، يعني الذي يقطع رحمه ولا يصل الرّحم الذي أمر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- به أن يوصل، والرّحم هو الذي يجمع الإنسان به رحم؛ قرابة، وصلة الـــرّحم أيضـــا تتفاوت بحسب الأقرب فالأقرب، مثل ما سبق معنا «**أمّك وأباك ثمّ أختك وأخاك ثمّ أدناك أدناك**»، فالرّحم تُوصل ولا تُقطع، ويُعتنى بالرّحم بحسب الأقرب فالأقرب، يُعتنى بها بحسب الأقرب فالأقرب، ويصلهم طاعة لله، وتقرّبا له وطلبا لثوابه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وصِلةً بما أمر الله به -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أن يوصل، وفي صلة الرّحم ثواب عظيم ومنافع كثيرة في الدّنيا والآخرة، وفي قطيعة الرّحم شرّ عظـــيم ووعيد شديد على فاعله في الدّنيا والآخرة، أورد أوّلا قول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَـــالَى-: ﴿**وَاتَّقُـــوْا اللهَ الَّذِيْ تَسَاءَلُوْنَ بِهِ وَالأَرْحَامَ**﴾ بفتح الميم أي واتّقوا الأرحام، والمعنى اتّقوا الأرحام بصـــلتها وعـــدم قطيعتها وليكن الواحد منكم واصلاً لها، هـــٰذا معنى قوله «واتَّقُوا الأرحَامَ»، و«اتَّقُـــوا الأرحـــام»، ﴿وَاتَّقُوْا اللهَ الَّذِيْ تَسَاءَلُوْنَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾؛ أي واتّقوا الأرحام بالصّلة وعدم القطيعة والقيام بحقوق الرّحم، وأيضًا قول الله تعالى: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَـــوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِـــدُوا فِـــي الْـــأَرْضِ وَتُقَطِّعُـــوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ**﴾، فاللّعن يدلّ أنّ الأمر كبير.

[المتن]

وَقَالَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ**».

[الشرح]

قوله: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ**» هـــٰذا دليل على أنّ الأمر كبيرة؛ لأنّ الكبيرة تُعْرف بأمور؛

منها: القول بعدم دخول الجنّة، وقوله: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ» هـٰذا دليل على أنّه كبيرة، وقد سبق أن مرّ معنا معنى هـٰذا الحديث، معنى «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ» ليس النّفي هنا لأصل الدّخول، نعم.

[المتن]

وَقَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[الشرح]

قوله: «مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»؛ أي أنّ صلة الرّحم من مقتضيات الإيمان بالله واليوم الآخر؛ لأنّ الله -عزّ وجل- من الإيمان به طاعته فيما أمر، والله أمر بصلة الرّحم، واليوم الآخر هو يوم الجزاء والحساب، الذي يصل رحمه يجد الثّواب العظيم، والذي يقطع رحمه يجد العقاب، فمن كان يُؤمن بالله ربًّا إلهًا مطاعًا ويؤمن باليوم الآخر وأنّه يوم حساب وعقاب ويجازى النّاس فيه على أعمالهم؛ فليصل رحمه.

[المتن]

وَقَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُم قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتِ: هـٰذا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ. قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[الشرح]

ثمّ أورد هـٰذا الحديث؛ لأنّ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لمّا خلق الخلق قامت الرّحم، قامت وتكلّمت، والله -عزّ وجل- قدير على كلّ شيء، فنطقت بهـٰذه الكلمات، قالت: «هـٰذا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ» يعني أنا مستعيذة بك من القطيعة، والعائذ هو طالب العَوْذ، طالب العوذ، فهي قالت: «هـٰذا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ» يعني استعاذت بالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- من القطيعة -قطيعة الرّحم-، «قَالَ: نَعَمْ» أي قال ربّ العالمين: «نَعَمْ»؛ يعني أعاذها، وقال لها: «أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى» يعني رضيت بذلك، فهـٰذا فيه أنّه من وصل رَحِمَه وصله الله، ومن قطعها قطعه الله.

[المتن]

وَقَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَجَلِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[الشرح]

قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَجَلِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» فيه أنّ الصّلة، صلة الرّحم من أسباب بسط الرّزق يعني سعته والبركة فيه، ومن أسباب أن يُنسأ للإنسان في أجله يعني أن يطوّل له في أجله، بأن يبارك له في حياته وفي عمره، فالحديث أفاد أنّ صلة الرّحم من أسباب البركة في الرّزق وأسباب البركة في العمر.

[المتن]

وَقَالَ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ» وَفِي لَفْظٍ: «يَقُولُ اللهُ: مَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ».

[الشرح]

قول الرّحم هنا: «مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ» هو مبني على إخبار الله لها بذلك، «قَال ألا ترضين بكذا، قَالَت: بَلى»، فصارت هي تقول: «مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ»؛ لأنّ الله –عزّ وجل– قال: «أَمَا تَرضَين بِهـٰذا، قَالَت: بَلَى»، فصارت بعد ذلك تقول «مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ»، وفي لفظ يقول الله: «مَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتّه» أي قطعته.

[المتن]

وَقَالَ اللهُ –تَعَالَى–: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[الرعد:٢٥].

[الشرح]

قوله: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ هو الشّاهد من الآية لهـٰذه الكبيرة، وممّا أمر الله به أن يوصل الرّحم، وجاء فيها نصوص كثيرة في الكتاب والسنّة، فمن قطع هـٰذا الذي أمر الله به أن يوصل تعرّض للّعنة، كما في تمام الآية ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾.

[المتن]

وَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَمْرٍو عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–، عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: «يَقُولُ اللهُ: أَنَا الرَّحْمَنُ وَهِيَ الرَّحِمُ، مَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ»

[الشرح]

وهو بمعنى ما سبق ويدلّ على مكانة الرّحم، وأنّ من وصل رحمه وصله الله، ومن قطعها قطعه الله.

[المتن]

فَنَقُوْلُ: مَنْ قَطَعَ رَحِمَهُ الْفُقَرَاءِ وَهُوَ غَنِيٌّ فَهُوَ مُرَادٌ وَلاَبُدَّ، وَكَذَا مَنْ قَطَعَهُمْ بِالْجَفَاءِ وَالإِهْمَالِ وَالْحَمَقِ.

[الشرح]

وهـٰذا بيان من المصنّف لبعض معاني قطيعة الرّحم، فمن ذلكم أن يكون الرّجل غنيّا ووسّع الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- عليه بالمال فيقطع رحمه الفقراء، يقطع رحمه الفقراء؛ يعني لا يحسن إليهم ولا يتصدّق عليهم ولا ينفق عليهم من ماله، من هـٰذا المال الذي وسّع الله عليه فيه، فهـٰذا من قطيعة الرّحم، يغنيه الله ويوسّع عليه في المال ولا يبالي بالعوز الشّديد والفقر الشّديد والحاجة الشّديدة التي عليها قرابته؛ بل بعض النّاس ربّما أنّ أخاه القريب أو أخته القريبة تبيت اللّيالي طاوية لا تجد طعاما تأكله أو لباسا، أو لا تجد بيتا لتأوي فيه، ويكون عنده مال واسع جدّا وثراء؛ ولكنّه شَحيح لا ينفق، ولو تفكّر في هـٰذا الأمر، لو كان مقامها هي الغنيّة وهو الفقير لما رضي ذلك منها؛ لكنّه في غفلة المال وفي غفلة الثّراء لم يبال بهـٰذا الأمر، وإلاّ لو تفكّر قليلا وقال لو أنّ هـٰذا المال عندها، فهل أرضى لنفسي هـٰذه المعاملة؟، يدرك بهـٰذه الطّريقة خطأ نفسه، وشناعة ما هو عليه؛ لكنّه في غفلة المال وفي غفلة الثّراء يكون بهـٰذه الصّفة.

وكذلك من أنواع القطيعة ملاقاة القرابة بالجفاء والإهمال؛ يعني فظاظة وغلظة وكلمات سيّئة وقلّة أدب وسوء معاملة، فهـٰذا أيضا من القطيعة.

[المتن]

قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «بُلُّوْا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلاَمِ».

[الشرح]

يعني أنّ باب صلة الرّحم واسع، ومن أقلّ ما يكون في هـٰذا الباب: السّلام، أن يلقي السّلام، يبلّ الرّحم، حتّى تبقى الرّحم طريّة، وتبقى الصّلة قائمة، ولا تكون الوحشة بين الأرحام والقطيعة، فتُبل ولو بالسّلام، يعني بين الفينة والأخرى يلقي السّلام عليهم حتّى تبقى الصّلة، ويبقى التّواصل، فـ«بُلُّوْا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلاَمِ»، والسّلام هو أقل ما يكون، ومع السّلام الذي ينبغي للإنسان أن

يجتهد في حسن الكلام وطيب المعاملة وحسن التودّد ومداومة الصّلة، والبعد عن الأذى، والتّعاون والمساعدة إلى غير ذلك ممّا تقتضيه الصّلة.